



سلسلة البحوث العلمية المحكمة

المنهج النبوي

في التعبير بلغه أجمد



تأليف

أ. د. فؤاد بن محمد بن عبد الله باسعد

الأستاذ في الحديث وعلومه بجامعة جدة

المنهج النبوي

في التعبير بلغات الجسد





حقوق الطبع محفوظة

رقم الطبعة الأولى

سنة الطبع ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

عدد الصفحات ٥٠ صفحة

المقاس ٢٤ × ١٧



✉ adw.marf@gmail.com



المنهج النبوي

في التعبير بلغته أجمداً

تأليف

أ.د. فؤاد بن محمد عبد الله بالسعد

الأستاذ في الحديث وعلومه بجامعة جدة





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المنهج النبوي في التعبير بلغة الجسد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد
وصحبه أجمعين.

المقدمة

إن جميع حركات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسكناته كانت تحت المتابعة حرصاً من
الصحابة على حفظ السنة والافتداء، وكان للتعبير النبوي بلغة الجسد في حركاته
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسكناته وإشاراته أكبر الأثر في إجاده أداء الأحاديث وتبليغها، ولفت
الانتباه، وإبعاد الغفلة عن المستمع، وقد تتابعت النصوص في السنة النبوية المثبتة
لحركات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجسدية وسكناته، وقدرة الصحابة على قراءة مضمونها
ودلالاتها، وفهمهم للرسالة المراد إيصالها.

فهذه الأحاديث تؤكد السبق النبوي للتعبير بلغة الجسد، مع تعدد أنواع التعبير
النبوي بلغة الجسد، وتعدد أسبابه: التعليمية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية،
والروحانية، المثبتة بتصريح الصحابة لهذه الأسباب والدلالات المفهومة من التعبير
بلغة الجسد، فهي إما مكملة للغة اللفظية ومتممة لها، أو بديلة عنها.

فلغة الجسد عبر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإيصال المادة العلمية للمتعلم بأعلى
مقاييس الجودة، وعدم الاعتماد فقط على لغة اللسان.

موضوع البحث وهدفه:

بيان المنهج النبوي في التعبير بلغة الجسد، وحرصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إيصال
المعلومة باستخدام هذه اللغة.





ومشكلة البحث تكمن في الإجابة عن السؤالين الآتيين:

- ★ هل علم لغة الجسد له أصول شرعية نبوية؟
- ★ هل الصحابة كانت لديهم القدرة على قراءة وفهم هذه اللغة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع اللغة اللفظية أو بدونها؟

البحث: يؤكد مسألة السبق النبوي لتأسيس علم لغة الجسد وتأصيله تطبيقاً، وقدرة الصحابة على قراءة مضمون هذه اللغة، وفهم دلالاتها والرسالة المراد إيصالها، ومن هنا وقع اختياري على هذا الموضوع.

منهجي في البحث كالآتي:

١. تخريج الأحاديث والآثار الواردة في موضوع البحث، بعزوها إلى مصادرها من كتب السنة: كالصحيح، والسنن، والجوامع، والمسانيد، وغيرها، ما أمكن (وهذا حدود البحث).
٢. إذا كان الحديث في البخاري ومسلم أو في أحدهما يتم الاقتصار على ذلك غالباً، وإلا تم تخريجه من كتب الأحاديث المعتمدة الأخرى ما أمكن.
٣. نقل حكم العلماء على الحديث ما لم يكن في الصحيحين.
٤. بيان غريب الحديث من كتب اللغة، وغريب الحديث.
٥. عمل فهرس عامة تشمل: فهرس المراجع والمصادر، وفهرس الموضوعات.

إجراءات البحث:

الجمع بين المنهج الاستقرائي والتحليلي للأحاديث المتصلة بالموضوع.





خطة البحث:

- يتكون البحث من: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.
- المقدمة:** وتشتمل على: أهمية البحث، وهدفه، ومنهج البحث، وخطة البحث.
- المبحث الأول:** أهمية التعبير بلغة الجسد، وقدرة الصحابة على قراءتها، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول:** أهمية التعبير بلغة الجسد، وإمكانية إبدالها بالكلام.
- المطلب الثاني:** قدرة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على قراءة لغة الجسد.
- المبحث الثاني:** أنواع التعبير النبوي بلغة الجسد، وفيه سبعة مطالب:
- المطلب الأول:** التعبير النبوي بإيماءات الوجه.
- المطلب الثاني:** التعبير النبوي بإيماءات اليد والأصابع.
- المطلب الثالث:** التعبير النبوي بإيماءات الرأس.
- المطلب الرابع:** التعبير النبوي بإيماءات الصوت: رفعًا، وخفضًا.
- المطلب الخامس:** التعبير النبوي بإيماءات الابتسامة والضحك.
- المطلب السادس:** التعبير النبوي بإيماءات الجثو على الركبة.
- المطلب السابع:** التعبير النبوي بإيماءات سرعة السير والحركة، وبطئها.
- المبحث الثالث:** أسباب التعبير بلغة الجسد ووسائلها، وفيه أربعة مطالب:
- المطلب الأول:** أسباب تعليمية.
- المطلب الثاني:** أسباب نفسية واجتماعية.
- المطلب الثالث:** أسباب اقتصادية.
- المطلب الرابع:** أسباب روحانية.
- الخاتمة:** وتتضمن: أهم نتائج البحث، والتوصيات.
- الفهارس:** وتشمل: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.







المبحث الأول

أهمية التعبير بلغة الجسد،

وقدرة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ على قراءتها



وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية التعبير بلغة الجسد، وإمكانية إبدالها بالكلام.

المطلب الثاني: قدرة الصحابة على قراءة لغة الجسد.







المطلب الأول

أهمية التعبير بلغة الجسد، وإمكانية إبدالها بالكلام

إن لغة الإشارة والإيماءة بحركات الجسد لغة إنسانية، يستطيع أن يتفاهم بها الناس من بلاد مختلفة، لا يعرف بعضهم لغة بعض، كما يتفاهم البكم فيما بينهم، وهي إذا كانت في محلها كانت معينة على الفهم، ملفتة للنظر، طاردة للشroud، مشرقة في المتابعة أكثر من حاسة، فالناظر يرى الإشارة، ويسمع العبارة، وقد كان لحركة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإشاراتة، وإيماءاته الجسدية، أكبر الأثر في إجادة الأداء للأحاديث، وإتقان التعبير لها، ولفت الانتباه، وإبعاد الغفلة^(١).

ولغة الجسد قد تكون بديلة عن لغة الكلام، فهذا هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في الصلاة يغمز رجل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حتى يتمكن من السجود، للحديث الذي أخرجه البخاري عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «بِسْمِ عَدَلْتُمُونَا بِالْكَلْبِ وَالْحِمَارِ، لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ غَمَزَ رِجْلِي، فَقَبَضْتُهُمَا»^(٢). قال العيني في قوله: «غمز رجلي»: «المراد هاهنا: الغمز باليد»^(٣). وقال أيضًا: «والحديث يدل على أمور، منها: أن العمل اليسير لا يقطع الصلاة»^(٤).

(١) ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، لمحمد الصباغ (ص ٥٢٥) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب هل يغمز الرجل امرأته عند السجود لكي يسجد؟ (ج ١/ ص ١٩٤) ح (٤٩٧).

(٣) ينظر: شرح سنن أبي داود، للعيني (٣/ ٢٨٠).

(٤) ينظر: المصدر السابق (٣/ ٢٨١).



المطلب الثاني

قدرة الصحابة على قراءة لغة الجسد

تتابعت النصوص التي تثبت قدرة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على قراءة إيماءات التعبير الجسدي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفهمهم لما يكرهه أو يجبه، ومن هذه الأحاديث: ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه»^(١)، قال ابن حجر: «إنه لم يكن يواجه أحداً بما يكرهه، بل يتغير وجهه؛ فيفهم أصحابه كراهيته»^(٢)، وقال النووي: «ومعنى عرفنا الكراهة في وجهه أي: لا يتكلم به لحيائه، بل يتغير وجهه؛ فنفهم نحن كراهته»^(٣).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب (ج ٥/ ص ٢٢٦٣) ح (٥٧٥١).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٥٧٧).

(٣) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥/ ٧٨).





المبحث الثاني

أنواع التعبير النبوي بلغة الجسد

وفيه سبعة مطالب:

- المطلب الأول: التعبير النبوي بإيماءات الوجه.
- المطلب الثاني: التعبير النبوي بإيماءات اليد والأصابع.
- المطلب الثالث: التعبير النبوي بإيماءات الرأس.
- المطلب الرابع: التعبير النبوي بإيماءات الصوت: رفعًا، وخفضًا.
- المطلب الخامس: التعبير النبوي بإيماءات الابتسامة والضحك.
- المطلب السادس: التعبير النبوي بإيماءات الجثو على الركبة.
- المطلب السابع: التعبير النبوي بإيماءات سرعة السير والحركة، وبطنها.







المطلب الأول

التعبير النبوي بإيماءات الوجه

أولاً: إيماءات الغضب في الوجه:

كان للصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قدرة على فهم دلالة لغة جسد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فها هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فهم إيحاءة الغضب في وجهه، وعبر عنها بقوله:
«فرايت الغضب في وجهه»، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه
عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أهدى إلي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حلة سيرا»^(١)، فلبستها، فرايت
الغضب في وجهه، فشققتها بين نسائي»^(٢). قال ابن حجر: «قوله: «فرايت الغضب
في وجهه»، فإنه دال على أنه كره له لبسها مع كونه أهداها له»^(٣).

وقد يعبرون عن غضبه بتعبير أكثر تحديداً، مثل:

(أ) التعبير بتمعر الوجه وتلونه، ومعنى تمعر الوجه: قلة إشراقه، ونضارته،
وتغيره؛ من الغضب^(٤)، وقد قال ابن حجر: «قوله: «تمعر وجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»
هو بالعين المهملة الثقيلة أي: تغير، وأصله في الشجر إذا قل ماؤه؛ فصار قليل
النضرة، عديم الإشراق»^(٥)، وقد ورد هذا التعبير من الصحابة، ففي الحديث

(١) السيرة: الخلة الحرير. ينظر: لسان العرب (٤/٣٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها، باب هدية ما يكره لبسه (ج ٢/ص ٩٢٢)
ح (٢٤٧٢).

(٣) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٥/٢٢٩).

(٤) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/١٨١).

(٥) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٥/٨٢).



عندما جاء أعرابي إلى النبي يسأله عما يلتقطه قائلًا: «ضالة الإبل؟ فتمعر وجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما لك ولها؟! معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء وتأكل الشجر»^(١).
قال ابن حجر: «(تمعر وجهه) بالعين المهملة أي: تغير من الغضب»^(٢).

(ب) التعبير باحمرار الوجه أو الوجنتين، أو بانتفاخ الأوداج.

إن التعبير باحمرار الوجه أو الوجنتين، وانتفاخ الأوداج، دلالة ومؤشر على الغضب، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: «غضب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى احمرت وجنتاه، أو احمر وجهه»^(٣).

فقرينة: «غضب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى احمرت وجنتاه، أو احمر وجهه» تأكيد لفهمهم لهذا التعبير الجسدي الدال على الغضب.

ومعنى انتفاخ الأوداج: انتفاخ العرقين اللذين يقطعها الذابح^(٤)، للحديث الذي أخرجه البخاري عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرٌ وَجْهُهُ، وَانْفَخَتْ أَوْدَاغُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ»^(٥).

- (١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللقطة، باب ضالة الإبل (ج ٢/ ص ٨٥٥) ح (٢٢٩٥).
- (٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٧٦/١٠).
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر (ج ٥/ ص ٢٢٦٥) ح (٥٧٦١).
- (٤) ينظر: غريب الحديث، لابن الجوزي (٤٥٨ / ٢).
- (٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (ج ٣/ ص ١١٩٥) ح (٣١٠٨).



ثانياً: إيماءات السرور في الوجه:

من هذه الإيماءات:

١ - التعبير بتهلل الوجه كأنه مذهبة، ومعناه: فضة مذهبة، فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه^(١)، كما في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: «كنا عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة، مجتأبي النهار^(٢) أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رأى بهم من الفاقة...» الحديث إلى أن قال: «ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعم وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتهلل كأنه مذهبة^(٣)»^(٤). وقال السندي معلقاً على الحديث: «ويظهر عليه أمارات السرور، كأنه مذهبة^(٥)». قال النووي: «قوله: «حتى رأيت وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتهلل كأنه مذهبة»، فقوله: «يتهلل» أي: يستنير فرحاً وسروراً، وقوله «مذهبة» بذال معجمة وفتح الهاء وبعدها باء موحدة، معناها: فضة مذهبة، فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه، وقيل: شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود،

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٣/٧).

(٢) النمار: جمع نمرة، وهي كساء من صوف ملون مخطط. **واجتابوها:** قطعوها فلبسوها، وأصل **الجوب:** القطع، ومنه: ﴿جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]. كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤٣٣/١).

(٣) **المذهب:** المموه بالذهب. ينظر: النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير (١٧٣/٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار (ج ٢/ ص ٧٠٤) ح (١٠١٧).

(٥) ينظر: حاشية السندي على سنن النسائي، للسيوطي (٧٦/٥).





وأما سبب سروره **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ففرحًا بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى، وبذل أموالهم لله^(١).

٢- التعبير بـ برق أسارير الوجه، ومعناه: السرور الذي يظهر على الخطوط التي تكون في الجبهة^(٢)، للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: «إن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** دخل علي مسرورًا تبرق أسارير وجهه، فقال: ألم تري أن مجزأ^(٣) نظر أنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض»^(٤). وقال ابن حجر: «وفيه يظهر السرور»^(٥)، وسبب فرحه: أن الجاهلية كانت تقدر في نسب أسامة لكونه أسود شديد السواد، وكان زيد أبيض أزهر اللون، فلما قضى هذا القائف بإلحاق نسبه مع اختلاف اللون، فرح النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ لكونه زاجراً لهم عن الطعن في النسب^(٦).

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٣/٧) بتصرف.

(٢) **أسارير وجهه:** خطوط وجهه، سرّ: يجمع على أسرار، وأسارير: جمع الجمع. ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٣٥٩/٤) وقال ابن حجر في فتح الباري (٥٧٤/٦): «والأسارير: جمع أسرار، وهي جمع سر، وهي الخطوط التي تكون في الجبهة».

(٣) مجزأ المدلجي هو: الصحابي القائف من بني مدلج، هو الذي سر رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بقوله في أسامة وأبيه زيد بن حارثة إذ رأى أقدامهما، ولم يكن يعرفهما، وكانا نائمين في المسجد قد تغطيا، ولم يبد منهما غير أقدامهما، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض، فاستحسن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قوله، ودخل على عائشة تبرق أسارير وجهه سرورًا، بقوله ذلك، وإنما سمي مجزأً، لأنه كان إذا أخذ أسيراً جز ناصيته، ولم يكن اسمه مجزأً، هكذا قال، ولم يذكر اسمه. ينظر: الاستيعاب (١٤٦١/٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب القائف (ج٦/ص٢٤٨٦) ح (٦٣٨٨).

(٥) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (١٢٢/٨).

(٦) ينظر: حاشية السندي على سنن النسائي (١٨٣/٦).



ثالثاً: إيماءات الخوف في الوجه:

فقد عبر النبي ﷺ عن خوفه من النار بعد تعوذه منها بإشاحة وجهه، أي: نحاه، وصرفه تعبيراً عن الخوف، فلم يكتفِ بلغة الكلام، وإنما أضاف لغة الجسد؛ تحذيراً وتخويفاً من النار، قال ابن حجر: «فمعنى أشاح: صد وانكماش، وقيل: صرف وجهه كالحائف أن تناله»^(١)، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن عدي بن حاتم قال: ذكر النبي ﷺ النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، ثم ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه - قال شعبة: أما مرتين فلا أشك - ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمره فإن لم تجد فبكلمة طيبة»^(٢). قال النووي: «أشاح بوجهه عن الشيء: نحاه عنه»^(٣).

رابعاً: إيماءات العقوبة والتأديب في الوجه:

إن النبي ﷺ أعرض بوجهه تأديباً وعقوبة لمن تخلف عن غزوة تبوك، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن كعب قال: «وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسَلَّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكْتُ شَفْتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ»^(٤). فكعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَارِقٌ

(١) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٤٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب طيب الكلام (٥/ ٢٢٤١) ح (٥٦٧٧).

(٣) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٤٠٥)، وينظر: الديباج على مسلم، للسيوطي، (٣/ ٩١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (ج ٤/

ص ٢١٢٠) ح (٢٧٦٩).





النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النظر لحركات جسده، مراقباً حركة شفثيه ليرى هل رد عليه السلام أو لا؟ وراقب إقباله إليه أثناء الصلاة، وإعراضه عنه أثناء التفاته إليه، فهذا إشارة إلى فهمهم لهذه الدلالات من الغضب والتأديب.

خامساً: إيماءات الكراهية في الوجه:

إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نشر في المجتمع المسلم ثقافة الحب والسلام، ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سلوكيات تظهر إيماءات الكراهية، سواء على الوجه أم على الجسد، كالتدابير للحديث: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(١). ومعنى «لا تدابروا» أي: «لا تعرض بوجهك عن أخيك، وتوله دبرك استثقلاً له وبغضاً، بل أقبل عليه، وابسط له وجهك ما استطعت. ومعنى «وكونوا عباد الله إخواناً» أي: متآخين متوادين، ولا يحل لمسلم أن يهاجر»^(٢). فالتدابير الجسدي معبر عما في القلب من كراهية، وقد قيل:

ولرب خافيه يكتمها الفتى والوجه منه بسرّها يتكلم^(٣)



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير (ج ٨ / ص ١٩)

ح (٦٠٦٤)

(٢) ينظر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، للسيوطي (٢/ ٢١٣).

(٣) موقع خيمة الشعر والشعراء، للشاعر معروف الرصافي.



المنهج النبوي

في التعبير بلغته الجسد



المطلب الثاني

التعبير النبوي بإيماءات اليد، والأصابع

أولاً: التعبير النبوي بإيماءات اليد، مثل:

١. التعبير بالضرب باليد على الفخذ عند التعجب.

إن إيماءات اليد لها مدلولات كثيرة، منها التعجب، للحديث الذي أخرجه البخاري عن علي بن أبي طالب قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَهُ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَلَا تَصَلُّونَ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا. فَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَخْذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] (١)، فلم يكتفِ بقراءة الآية فقط، بل زاد بضرب اليد على فخذة لإظهار التعجب.

٢. التعبير بالمسح باليد على الرأس عند الشفقة والرحمة:

فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشمل الجميع بحنانه وشفقته وسعة صدره، فيمسح على رأس عمار حناناً وشفقة عليه وهو يخبره بقتل الفئة الباغية له، للحديث: «كُنَّا نَنْقُلُ لَبِنَ الْمَسْجِدِ لَبْنَةً لَبْنَةً، وَكَانَ عَمَارٌ يَنْقُلُ لَبْتَيْنِ لَبْتَيْنِ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الْعُبَارَ، وَقَالَ: وَيْحَ عَمَارٍ، تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ، عَمَارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ» (٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (ج/٦ ص ٢٦٧٤) ح (٦٩١٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس في السبيل (ج/٣ ص ١٠٣٥) ح (٢٦٥٧).



ثانياً: التعبير النبوي بإيماءات الأصابع، مثل:

١. التعبير بالتمزيح بين السبابة والوسطى؛ للإشارة إلى الملازمة بين الشئيين والتقارب: فقد ورد منه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ ليشير إلى الملازمة والقرب بينه وبين كافل اليتيم، للحديث: «وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا. وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى، وَفَرَّحَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا»^(١).

٢. التعبير بممص الأصبع لوصف رضاعة الطفل:

أوتي النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** جوامع الكلم، وأضاف إليها القدرة على التعبير بلغة الجسد، فعندما وصف رضاع الطفل، وضع سبافته في فيه، وجعل يمصها، ففي الحديث الذي ورد في قصة جريج والثلاثة الأطفال الذين تكلموا في المهد بلفظ: «فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَيْنِي مِثْلَ هَذَا. فَتَرَكَ الثَّدْيِي، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ، فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ، قَالَ^(٢): فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يُمْصُهَا»^(٣).

٣. التعبير بتشبيك الأصابع للإشارة إلى التكاتف والتعاون:

عبر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بتشبيك الأصابع للدلالة على القوة والتكاتف بين المؤمنين، فقد جاء في الحديث: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب اللعان (ج ٥/ ص ٢٠٣٢) ح (٤٩٩٨).

(٢) قاله راوي الحديث.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها (ج ١٢/ ص ٣٩٤) ح (٤٦٢٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم (ج ٣/ ص ١٦٣) ح (٢٣١٤).



المطلب الثالث

التعبير النبوي بإيماءات الرأس

أولاً: التعبير بطأة الرأس حياء:

طأطأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأسه للدلالة على حيائه من المرأة التي وهبت نفسها له، وهو لم يرغب فيها، فقد جاء في الحديث: «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ لِأَهَبَ لَكَ نَفْسِي، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَعَدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأَطَأَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا»^(١). فالطأطأة دلالة على الحياء.

ثانياً: التعبير بتقنع الرأس طلباً للستر:

تقنع الرأس معناه: تغطيته بقناع؛ طلباً للستر أو لئلا يعرف. قال ابن حجر: «مُتَقَنَّعًا أَي: مُغَطِّيًّا رَأْسَهُ»^(٢)، وتقنع الرأس له أغراض كثيرة، منها: طلب الستر، وألا يعرف المتقنع، وهذا ما فعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حادثة الهجرة، للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهْرِيَّةِ، فَقَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القراءة عن ظهر القلب (ج ٤/ ص ١٩٢٠) ح (٤٧٤٢).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٧/ ٢٣٥).



مُقْبَلًا مُتَقَنَّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا»^(١)، قَالَ الْمُبَارَكْفُورِيُّ: «بِكَسْرِ النُّونِ الْمَشْدَدَةِ، أَيُّ: مُغَطِّيًّا رَأْسَهُ بِالْقِنَاعِ، أَيُّ: بِطَرَفِ رِدَائِهِ عَلَى مَا هُوَ عَادَةٌ الْعَرَبِ لِحِرِّ الظَّهِيرَةِ، وَيُمْكِنُ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ التَّسْتُرَ لِكَيْلَا يَعْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَهُمَا حَالَانِ مُتَرَادِفَانِ أَوْ مُتَدَاخِلَانِ»^(٢). وَقَدْ يَكُونُ التَّقْنَعُ هَيْئَةً مِنْ هَيْئَاتِ الْمُتَعَوِّذِ وَالْمُتَخَوِّفِ مِنْ شَرِّ مَا، لِلْحَدِيثِ: «لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجْرِ قَالَ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ، وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَارَ الْوَادِيَّ»^(٣). قَالَ الْدِيوبَنْدِيُّ: «وَكَانَ هَذِهِ كَانَتْ هَيْئَةً مُتَعَوِّذٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى»^(٤)، وَقِيلَ: مُبَالَغَةٌ مِنَ الْإِقْنَاعِ، أَيُّ: أَطْرَقَ رَأْسَهُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ يَمِينًا وَشِمَالًا كَالْحَائِفِ؛ لِئَلَّا يَقَعَ نَظْرُهُ عَلَى مَسَاكِنِهِمْ»^(٥).



- (١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب التقنع (ج ٥/ ص ٢١٨٧) ح (٥٤٧٠).
- (٢) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم (٩٢/١١).
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب نزول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجر (ج ٦/ ص ٧) ح (٤٤١٩).
- (٤) ينظر: فيض الباري على صحيح البخاري (٥/ ص ١٥٥).
- (٥) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري (٨/ ٣٢٠٠).





المطلب الرابع

التعبير النبوي بإيماءات الصوت: رفعًا، وخفضًا

أولًا: التعبير برفع الصوت للإنذار:

رفعُ الصوتِ نوعٌ من أنواع التعبير الصوتي من باب الإنذار، لحديث جابر بن عبد الله، قال: كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَانَتْهُ مُنْذِرٌ جَيْشٍ، يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»^(١).

ثانيًا: التعبير بخفض الصوت خشوعًا وتعظيمًا:

من كمال الأدب مع الله جَلَّ جَلَالُهُ خفض الصوت في الذكر والدعاء، وهو دلالة على الخضوع، وأدعى لخشوع القلب، ويؤيده الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى، قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ»^(٢)، قال النووي: «فَفِيهِ النَّدْبُ إِلَى خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ إِذَا لَمْ تَدْعُ حَاجَةً إِلَى رَفْعِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا خَفَضَهُ كَانَ أَبْلَغَ فِي تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمع، باب تخفيف الصلاة والخطبة (ج٢/ص ٥٩٢)، ح (٨٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (ج٤/ص ٢٠٧٦) ح (٢٧٠٤).

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٧/٢٦).



ثالثاً: التعبير بالتنحج تنبيهاً:

معنى التنحج هو: صَوْتُ يُرَدِّدُهُ الرَّجُلُ فِي جَوْفِهِ^(١)، وهذا الصوت كان يفعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنبيهاً للسامع، للحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده عن عِليٍّ، قَالَ: «كُنْتُ آتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ غَدَاةٍ، فَإِذَا تَنَحَّجَ دَخَلْتُ، وَإِذَا سَكَتَ لَمْ أَدْخُلْ»^(٢). ففهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دلالة إذنه بالتنحجة، ودلالة عدم إذنه بالسكوت لقوله: «فَإِذَا تَنَحَّجَ دَخَلْتُ، وَإِذَا سَكَتَ لَمْ أَدْخُلْ». وهذا يثبت أن التنحج بالصوت له إشارات يفهمها السامع.



(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/٦١٢).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، (ج٢/ص٢٠٧) ح (٨٤٤)، وقال محقق المسند: «إسناده ضعيف؛ لضعف جابر بن يزيد الجعفي، وعبد الله بن نجى مختلف فيه، ولم يثبت سماعه من علي».





المطلب الخامس

التعبير النبوي بإيماءات الابتسامة والضحك

أولاً: التعبير بتبسم الغضب:

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمح الخلق، رحمة للعالمين، حتى في حالة الغضب كان يتبسم تبسم الغضب، يدل على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: «جاءه المخلفون، فطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضَعَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْغَضَبِ»^(١).

ثانياً: التعبير بتبسم الضحك والسرور:

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبسم إذا رأى أو سمع ما يسره من الصحابة، حتى في مرض موته، فقد جاء في الحديث: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ، كَانَ وَجْهُهُ وَرَقَةً مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتِنَ مِنَ الْفَرَحِ بِرُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْكَصَرَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقْبِيهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَمْتُوا صَلَاتَكُمْ، وَأَرْخَى السِّتْرَ، فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله **حَلَّالَةٌ**: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: ١١٨] (ج ٤/ ص ١٦٣) ح (٤١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (ج ١/ ص ٢٤٠) ح (٦٤٨).



ففهم الصحابة من تبسمه مدى فرحته برؤيتهم؛ لذا قالوا: «فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتِنَ مِنْ الْفَرَحِ بِرُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، ثم فهموا من إشارته لهم مراده بالإتمام، بدليل قرينة: «فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُمَّتُوا صَلَاتِكُمْ، وَأَرْخَى السُّتْرَ، فَتَوَفَّى مِنْ يَوْمِهِ».

ثالثاً: التعبير بضحك التعجب والإقرار:

علامة التعجب كانت تظهر على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ضحكه وتبسمه قبل كلامه، أي: بمفهوم حاله، وبلغه جسده قبل منطوق كلامه، للحديث الذي أخرجه البخاري بلفظ: «أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْحَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقال عبد الله: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا وَنَصْدِيقًا لَهُ»^(١).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ج ٦/ ص ٢٦٩٧) ح (٦٩٧٨).





المطلب السادس

التعبير النبوي بإيماءات الجثو على الركبة



أولاً: التعبير بالجثو على الركبة تواضعاً:

كان من صفات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجليلة التواضع في كل تفاصيل حياته، في لحظات انتصاره، وفي طعامه وشرابه، للحديث: «كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا: الْغَرَاءُ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ، فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ - يَعْنِي وَقَدْ تَرُدَ فِيهَا - فَالْتَفُّوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا هَذِهِ الْجِلْسَةُ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلَنِي جَبَّارًا عَنِيدًا، ثُمَّ قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّوا مِنْ حَوَالِيهَا، وَدَعُوا ذُرْوَتَهَا، يُبَارَكُ فِيهَا»^(١). قال ابن بطال: إنما فعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك تواضعاً لله^(٢).

ثانياً: التعبير بالجثو على الركبة خوفاً وإشفاقاً:

الجثو على الركبة قد يكون خوفاً من عقوبة الله، للحديث: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ، فَقَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُدَافَةَ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ فَقَالَ: أَبُوكَ حُدَافَةُ، ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: سَلُونِي، فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا، فَسَكَتَ»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل من أعلى الصفحة (ج/٣)

ص ٣٤٨ ح (٣٧٧٣)، وإسناده صحيح. ينظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٨/٤).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي (٧/٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدث

(ج/١ ص ٤٧) ح (٩٣).





قال ابن حجر: «مُرَاقَبَةُ الصَّحَابَةِ أَحْوَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشِدَّةُ إِشْفَاقِهِمْ إِذَا غَضِبَ خَشِيَّةٌ أَنْ يَكُونَ لِأَمْرٍ يَعْمُّ فَيَعْمَهُمْ، وَجَوَازُ الْعُضْبِ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَبُرُوكُ الطَّالِبِ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ»^(١).



(١) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٢٧٠) بتصرف.





المطلب السابع

التعبير النبوي بإيماءات سرعة السير والحركة، وبطنها

أولاً: الإسراع في السير:

حفظ الصحابة لرسول الله ﷺ حركاته وسكناته حرصاً منهم على الاقتداء به، فرصدوا سرعة مشيه كما في الحديث الذي بلفظ: «صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَصْرَ، فَأَسْرَعَ، ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْتَ»^(١). فقال ابن حجر: «أي: لسبب من الأسباب ولأمر مقصود. وقال ابن بطال: فيه جواز إسراع الإمام في حاجته، وقيل: لأجل صدقة أحب أن يفرقها في وقته»^(٢).

ثانياً: التهادي في المشي:

حفظت كتب السنة جميع تفاصيل مرضه الذي توفي فيه جباراً له، حتى تهادي مشيه بين رجلين، ومعنى التهادي: أن يَمْشِي مُعْتَمِداً عَلَى أَحَدٍ؛ ضَعْفًا^(٣)، للحديث الذي بلفظ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ وَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفْسِهِ خِفَةً، فَقَامَ يَهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ، وَرِجَالُهُ يُحْطَانِ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ، ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَخَّرُ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب من أسرع في مشيه لحاجة أو قصد (ج ٥/ ص ٢٣١٤ ح ٥٩١٩).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٦٧/١١) بتصرف.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٥٥/٥)، غريب الحديث، لابن الجوزي (٢/٤٩٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الرجل يأتهم بالإمام، ويأتهم الناس بالمأموم (ج ١/ ص ٢٥١ ح ٦٨١).



ثالثاً: الإقبال والإدبار:

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خاف على أمته العقوبة ظهر ذلك على حركاته ومشيته، للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا رَأَى مَحِيلَةً فِي السَّمَاءِ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهَهُ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَدْرِي، لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيْنِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]»^(١).

قال العيني: محيلة -بفتح الميم وكسر الحاء المعجمة وسكون الياء- هي: السحابة التي يخال فيها المطر، وقوله: «وتغير وجهه» خوفاً أن تصيب أمته عقوبة ذنب العام، وقوله: «سري عنه» أي: كشف عنه ما خالطه من الوجع، وقوله: «فعرفته عائشة» من التعريف، أي: عرفت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان عرض له، وقوله: «عارضاً» هو: السحاب الذي يعترض في أفق السماء^(٢).

رابعاً: مشية القهقري:

مشى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشية القهقري، وهي الرجوع إلى الخلف^(٣)، ليعلم الناس الصلاة وهو على المنبر، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: «وَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ عُمِلَ وَوُضِعَ، فَاسْتَقْبَلَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: ٤٨] (ج ٣/ ص ١١٧٢) ح (٣٠٣٤).

(٢) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ١٢٣) بتصرف.

(٣) القهقري: الرجوع إلى خلف، وقهقر الرجل في مشيته: فعل ذلك. **وتقهقر:** تراجع على فقا. ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ١٢١).



المنهج النبوي

في التعبير بلغّة الجسد



القبلة، كَبَّرَ وَقَامَ النَّاسُ خَلْفَهُ، فَقَرَأَ وَرَكَعَ، وَرَكَعَ النَّاسُ خَلْفَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ رَجَعَ الْقَهْقَرَى، فَسَجَدَ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَجَعَ الْقَهْقَرَى حَتَّى سَجَدَ بِالْأَرْضِ^(١). قال النووي: «وَالْقَهْقَرَى هُوَ: الْمَشْيُ إِلَى خَلْفٍ، وَإِنَّمَا رَجَعَ الْقَهْقَرَى لِئَلَّا يَسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةَ، فَبَيَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ صُعودَهُ الْمِنْبَرَ وَصَلَاتَهُ عَلَيْهِ إِنَّمَا كَانَ لِلتَّعْلِيمِ، لِيَرَى جَمِيعُهُمْ أَفْعَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَا يَرَاهُ إِلَّا بَعْضُهُمْ مِمَّنْ قَرَّبَ مِنْهُ»^(٢).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب (ج ١/ ص ١٤٨ ح ٣٧٠).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (٥/ ٣٥).







المبحث الثالث

أسباب التعبير بلغة الجسد، ووسائلها



وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسباب تعليمية.

المطلب الثاني: أسباب نفسية واجتماعية.

المطلب الثالث: أسباب اقتصادية.

المطلب الرابع: أسباب روحانية.







المطلب الأول

أسباب تعليمية

للتنبيه ولفت النظر وسائل متعددة، منها:

١. اللهد في الصد:

وهو: الدّفع بِجَمِيعِ الكَفِّ فِي الصَّدْرِ^(١) لغرض التنبيه والتعليم والإيضاح، وهو ظاهر في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: «ألا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَتْ: لِمَا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا عِنْدِي أَنْقَلَبَ، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثِمًا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّنْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ، حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرَوَلْ فَهَرَوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: مَا لِكَ يَا عَائِشُ، حَسْبِيَ رَأْيِيَّة؟^(٢) قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: لَتُخْبِرِينِي أَوْ لِيُخْبِرَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي

(١) ينظر: شرح السيوطي على مسلم (٤٦/٣).

(٢) أي مالك قد وقع عليك الحشى، وهو الربو والنهيج وارتفاع النفس وتواتره، تاج العروس

(٤٣٤/٣٧).



في صَدْرِي لَهْدَةً أَوْ جَعْتَنِي، ثُمَّ قَالَ: أَظَنَنْتِ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ؟^(١). قال النووي: «فلَهْدَنِي» هُوَ بَفَتْحِ الهَاءِ وَالذَّالِ الْمُهْمَلَةِ إِذَا ضَرَبَهُ بِجَمْعِ كَفِّهِ فِي صَدْرِهِ، وَيَقْرَبُ مِنْهَا: لَكَزَهُ، وَوَكَزَهُ^(٢).

٢. الإقبال بالوجه:

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصًا على مهارات التواصل بينه وبين أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإذا أراد أن يلفت اهتمامهم ويسترعي سمعهم، أقبل عليهم بوجهه؛ ليشعرهم بأهمية الموضوع، كما في الحديث: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ، أَوْ طَالِبٌ حَاجَةً، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: اشْفَعُوا فَلْتُؤَجَّرُوا، وَلِيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ لِسَانَ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»^(٣). قال القاري: في قوله: «أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ» يَعْنِي: لَا بِمُجَرَّدِ الْكَلَامِ^(٤). أي: بلغة الجسد أيضًا، فلم يكتفِ بالكلام فقط، بل تواصل معهم بإقباله بوجهه عليهم قبل الكلام المنطوق.

٣. تغيير الجلسة:

غير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جلسته لما تعرض للحديث عن شهادة الزور، للحديث: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (ج ٢/ص ٦٦٩) ح (١٠٣).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (٧/٤٤) بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا (ج ٥/ص ٢٢٤٢) ح (٥٦٨٠).

(٤) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري (٢/٧٣١).





وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَكَبِّرًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ: لَا يَسْكُتُ»^(١). فتغير جلسته كانت تنبيهًا لأهمية الموضوع، وقبح شهادة الزور. قال ابن حجر: «أَيُّ: تَمَيَّنَاهُ يَسْكُتُ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ لِمَا رَأَوْا مِنْ انزَعَاغِهِ فِي ذَلِكَ»^(٢). وقال ابن علان: «تنبيهًا على عظم إثم وقبح شهادة الزور، فيفيد تأكيد تحريمه وتعظيم قبحه، وسبب الاهتمام به حتى جلس بعد اتكائه سهولة وقوع الناس فيه، وتهاونهم به»^(٣).

٤. الغمز باليد أو العين:

كان الغمز بقصد التنبيه، وهو إما باليد أو بالعين^(٤)، فالغمز باليد فعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عائشة عندما أراد أن توسع له المكان ليستطيع أن يسجد كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَلْفُظٍ: «لَقَدْ رَأَيْتَنِي وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي، وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ غَمَزَ رِجْلِي، فَقَبَضْتُهَا»^(٥). وأما الغمز بالعين فكان أسلوبًا فعلته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لتنبه صديقاتها بالخروج من عندها، للحديث الذي أخرجه البخاري عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغْنِيَانِ بَغْنَاءِ بُعَاثٍ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر (ج ٥/ ص ٢٢٢٩) ح (٥٦٣١).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٤١١).

(٣) ينظر: دليل الفالحين (٣/ ١٧٩).

(٤) ينظر: رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، للفاكهاني (٢/ ٤٠٥).

(٥) سبق تخريجه، انظر: (ص ١١).





مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: دَعُهُمَا، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجْتَا»^(١). قال ابن حجر: «فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجْتَا» دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهَا مَعَ تَرْخِيصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا فِي ذَلِكَ رَاعَتْ خَاطِرَ أَيْبَاهَا، وَخَشِيَتْ غَضَبَهُ عَلَيْهَا، فَأَخْرَجَتْهُمَا وَاقْتِنَاعَهَا فِي ذَلِكَ بِالْإِشَارَةِ فِيهَا يَطْهَرُ لِلْحَيَاءِ مِنَ الْكَلَامِ بِخَضْرَاءٍ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا»^(٢).

٥. علو الصوت:

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أن ينذر أو ينبه علا صوته، ومن أجل هذا المعنى أخرج البخاري الحديث في صحيحه تحت كتاب العلم، باب مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْعِلْمِ، بلفظ: «تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَذْرَكْنَا، وَقَدْ أَرْهَقْنَا الصَّلَاةَ، وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»^(٣).

٦. تجسيد المشهد:

يعين على تقريب المعنى، ومن هنا شبه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البخيل بمن تقلص يده عن الصدقة، وزاد المعنى إيضاحاً بحركة يده التي أدخلها في جيبه محاولاً توسيعها، ولم تتسع لبخل البخيل، للحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: «ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَّصِدِّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُتَّتَانِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد (ج ١/ ص ٣٢٣) ح (٩٠٧).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (٢/ ٤٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب غسل الرجلين ولا يمسح على القدمين (ج ١/ ص ٧٢) ح (١٦١).



المنهج النبوي

في التعبير بلغاة الجسد



مِنْ حَدِيدٍ، قَدْ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى تُدْيِيهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا، فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ، حَتَّى تُغْشِيَ أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثْرَهُ، وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ، وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا. قَالَ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: بِإِصْبَعِهِ فِي جَبِيهِ «فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا، وَلَا تَوَسَّعُ»^(١). فقولُه: «يقول: بإصبعه في جَبِيهِ «فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا، وَلَا تَوَسَّعُ»» قرينة تؤكد قول الجسد كلامًا يزيد الأمر إفصاحًا.



(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب مثل المنفق والبخيل (ج ٢/ ص ٧٠٨) ح (١٠٢١).





المطلب الثاني

أسباب نفسية واجتماعية

١. سعة الصدر وحسن العشرة:

إن كثرة مناجاة الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والتقامهم لإذنه، كانت دلالة على حسن عشرته، وسعة صدره، ومما يدل على ذلك حديث أخرجه أبو داود في سننه عن أنس رضي الله عنه، قال: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا التَّقَمَ أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيُنْحِي رَأْسَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنْحِي رَأْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدْعُ يَدَهُ»^(١)، ومعنى التقمم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن يسر الصحابي في أذنه بكلام، أي: يقرب فمه من أذنه للمسارعة بالكلام الذي لا يراد أن يسمعه الحاضرون^(٢).

٢. إظهار المودة والحب:

إن التقارب المعنوي بين الناس يظهر حتى في التعبير الجسدي، وهذا ما أظهرته الروايات بين النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة، قالت: «فِيمَا سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَإِمَّا قَالَ: تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: دُونَكُمْ

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن العشرة (ج ٤/ ص ٢٥١) ح (٤٧٩٤)،

وحسنه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

(٢) ينظر: شرح سنن أبي داود، للعباد (٢٧/ ٥٤٥).





يَا بَنِي أَرْفَدَةَ. حَتَّى إِذَا مَلَلْتُ، قَالَ: حَسْبُكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَاذْهَبِي»^(١). وجاءت الرواية بلفظ: «فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، حَدَّثِي عَلَى خَدِّهِ»، وفي رواية مسلم بلفظ: «فَوَضَعْتُ رَأْسِي عَلَى مَنْكِبِهِ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى لَعْبِهِمْ، حَتَّى كُنْتُ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ»^(٢)، وفي رواية النسائي بلفظ: «فَوَضَعْتُ ذَقْنِي عَلَى عَاتِقِهِ، فَأَسْنَدْتُ وَجْهِي إِلَى خَدِّهِ»^(٣). وقد صرحت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بسبب هذا قائلة: «وَمَا لِي حُبُّ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَبْلُغَ النِّسَاءَ مَقَامَهُ لِي، وَمَكَانِي مِنْهُ»^(٤). فهذا التقارب الجسدي فيه دلالة الحب.

٣. المشاركة الوجدانية والتجاوب الانفعالي:

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة للعالمين، يشاركهم أحزانهم، ويفرح لفرحهم، ويبكي لما يؤلمهم، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، عَنْ أُسَامَةَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ لِبْعَضِ بَنَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهَا، فَأَرْسَلَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ فَأَقْسَمَتْ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقُمْتُ مَعَهُ، وَمَعَاذُ بَنِي جَبَلٍ، وَأَبِي بَنِي كَعْبٍ، وَعِبَادَةُ بَنِي الصَّامِتِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا نَاوَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبِيَّ وَنَفْسُهُ

(١) سبق تخريجه (ص ٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد (ج ٢/ ص ٦٠٩) ح (١٩٢).

(٣) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب (ج ٨/ ص ١٨١) ح (١٩٠٢).

(٤) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب (ج ٨/ ص ١٨١) ح (١٩٠٢).



تَقْلُقُ^(١) فِي صَدْرِهِ - حَسِبْتُهُ قَالَ: كَأَمَّهَا شَنَّةٌ^(٢)، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ أَتَبْكِي، فَقَالَ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ»^(٣).

ولم يكن هذا محصوراً على مستوى الإنسان، بل شملت رحمته النخلة التي كان يخطب عليها، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ؛ فَإِنِّي لِي غُلَامًا نَجَارًا؟ قَالَ: إِنْ شِئْتِ، قَالَ: فَعَمِلْتُ لَهُ الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا، حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَخَذَهَا، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَبْنُ أَنْبَانَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ. قَالَ الرَّاوِي: بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ»^(٤).



(١) أي: تتحرك بصوت شديد، وأصله: الحركة، والاضطراب. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (ج ٤ / ص ١٠٤)، ولسان العرب، لابن منظور (١١ / ٥٦٧).

(٢) الشن: الضعف، والشنون: المهزول. ينظر: لسان العرب، لابن منظور (ج ١٣ / ص ٢٤٢)، والشن بفتح الشين المعجمة وتشديد النون: السقاء البالي، والجمع: شنان، وشبه النفس بنفس الجلد، وهو أبلغ في الإشارة إلى شدة الضعف. ينظر: عمدة القاري (٨ / ٧٤) بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (ج ٦ / ص ٢٧١) ح (٧٠١٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب النجار (ج ٢ / ص ٧٣٨) ح (١٩٨٩).



المطلب الثالث

أسباب اقتصادية

فهم الصحابة دلالة الجوع من رؤيتهم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ظهر البطن متقلباً طاوياً، ففي الحديث: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيْتُ اللَّيَالِي الْمُتَابِعَةَ طَاوِيًّا وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ»^(١)، ومعنى طاوياً أي: جائعاً^(٢). وكذا فهمهم أنه جائع لتقلبه ظهرًا لبطنٍ للحديث: «رَأَى أَبُو طَلْحَةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي الْمَسْجِدِ، يَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، فَآتَى أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي الْمَسْجِدِ، يَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، وَأَظْنُهُ جَائِعًا»^(٣). فقوله: «وَأَظْنُهُ جَائِعًا» قرينة تثبت فهمهم له.



- (١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهله (١٥٨/٤) ح (٢٣٦٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».
- (٢) ينظر: تحفة الأحوزي (٢١/٧).
- (٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك (ج ٣/ ص ١٦١٤) ح (٥).





المطلب الرابع

أسباب روحانية

إن خشوع القلب يظهر على الجوارح والجسد، وهذا أمر فهمه الصحابة والتابعون، فقد رأى سعيد بن المسيب رجلاً وهو يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا، لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»^(١). وهذا دلالة الترابط بين خشوع القلب وخشوع الجسد.

ومن هنا جاء النهي في الإسلام عن أمور لها تعلق بالجسد وحركاته، ولها تعلق بإبعاد الخشوع، منها:

١. تشبيك الأصابع وفرقتها في الصلاة:

نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تشبيك الأصابع والانشغال بفرقتها، لأنها مؤثر على عدم خشوع القلب، ففي الحديث الذي أخرجه ابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: «إِذَا تَوَضَّأْتَ، ثُمَّ دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ، فَلَا تُشَبِّكَنَّ بَيْنَ أَصَابِعِكَ»^(٢). وفي رواية أخرجه ابن ماجه في

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ج ٢/ ص ٨٦) ح (٦٧٨٧)، وقال العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١/ ٣٣٩): «رواه الحكيم الترمذي في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب، رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وفيه رجل لم يسم».

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (ج ١/ ص ٢٥٦) ح (٤٤٠)، وقال البيهقي: «هذا إسناد صحيح إن كان الحسن بن علي الرقي هذا حفظه، ولم أجد له فيما رواه من ذلك بعد متابعا، والله أعلم». السنن الكبرى (٣/ ٢٣٠).



سننه عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُفَقِّعْ أَصَابِعَكَ وَأَنْتَ فِي الصَّلَاةِ»^(١).

٢. مسح الحصى في الصلاة:

إن من أسباب تحصيل رحمة الله بالعبد خشوعه في الصلاة، والبعد عن نوافي الخضوع، ومن نوافي الخضوع مسح الحصى في الصلاة، وقد جاء النهي الصريح بمسح الحصى في الصلاة، للحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَمْسَحِ الْحَصَا، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تَوَاجِهَهُ»^(٢). فمسح الحصى يعد من نوافي الخشوع التي تستجلب رحمة الله بالعبد.



- (١) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب إقامة الصلاة، باب ما يكره في الصلاة (ج٢/ص١١٢) ح (٩٦٦)، وسنده ضعيف، ينظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١/٣٦١).
- (٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية مسح الحصى في الصلاة (ج١/ص٤٨٩) ح (٣٧٩) وقال: «حديث حسن».





المخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

أهم النتائج المستخلصة:

١. إن التعبير النبوي بلغة الجسد في حركاته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وسكناته وإشاراته، كان له أكبر الأثر في إجادة أداء الأحاديث.
٢. قدرة الصحابة على قراءة إيحاءات التعبير الجسدي للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وفهمهم لما يكرهه أو يحبه، وتصريحهم بذلك.
٣. تعدد أنواع التعبير النبوي بلغة الجسد واختلاف دلالاتها.
٤. من أهم أسباب التعبير بلغة الجسد: الأسباب التعليمية، وهذا يؤكد ما ينبغي أن يكون عليه المعلم من مهارات تعبيرية بلغة الجسد مع المهارات الأخرى.
٥. إن جميع حركات جسد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وسكناته كانت تحت الرصد والمراقبة؛ حرصاً من الصحابة على حفظ السنة والاقتداء.

أهم التوصيات المقترحة:

★ تحفيز البحث العلمي في إبراز المنهج النبوي في التعبير بلغة الجسد، وعقد مقارنة بين موضوعية ما ورد في السنة وكتب شروح الحديث وبين التخريص الوارد في كتب لغة الجسد عند الغرب، وتفسير الأمور بأكثر مما تحتمل.



★ اعتماد مراكز التربية والتعليم لدورات على مستوى كافة القطاعات التعليمية؛ يؤهل فيه المعلم ليتدرب على الأساليب التعليمية النبوية في التعليم بلغة الجسد التي أصلها النبي ﷺ تطبيقاً؛ لإيصال المناهج الدراسية بأعلى مقاييس الجودة، وعدم الاعتماد فقط على لغة الكلام.

★ توجيه وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي، لتسليط الضوء على لغة الجسد في السنة النبوية.

هذا وبالله التوفيق





فهرس الموضوعات

٥.....	المقدمة.....
٩.....	المبحث الأول أهمية التعبير بلغة الجسد وقدرة الصحابة على قراءتها.....
١١.....	المطلب الأول: أهمية التعبير بلغة الجسد وإمكانية إبدالها بالكلام.....
١٢.....	المطلب الثاني: قدرة الصحابة على قراءة لغة الجسد.....
١٣.....	المبحث الثاني: أنواع التعبير النبوي بلغة الجسد.....
١٥.....	المطلب الأول: التعبير النبوي بإيماءات الوجه.....
٢١.....	المطلب الثاني: التعبير النبوي بإيماءات اليد والأصابع.....
٢٣.....	المطلب الثالث: التعبير النبوي بإيماءات الرأس.....
٢٥.....	المطلب الرابع: التعبير النبوي بإيماءات الصوت رفعًا وخفضًا.....
٢٧.....	المطلب الخامس: التعبير النبوي بإيماءات الابتسامة والضحك.....
٢٩.....	المطلب السادس: التعبير النبوي بإيماءات الجثو على الركبة.....
٣١.....	المطلب السابع: التعبير النبوي بإيماءات سرعة السير والحركة وبطئها.....
٣٥.....	المبحث الثالث: أسباب التعبير بلغة الجسد ووسائلها.....
٣٧.....	المطلب الأول: أسباب تعليمية.....
٤٢.....	المطلب الثاني: أسباب نفسية واجتماعية.....
٤٥.....	المطلب الثالث: أسباب اقتصادية.....
٤٦.....	المطلب الرابع: أسباب روحانية.....
٤٨.....	الخاتمة.....
٥٠.....	فهرس الموضوعات.....



صدر للمؤلف

